الفارق بين النبوة والرسالة :

فرق القرآن الكريم بين النبي والرسول. فكلاهما موحى إليه، ولكن وحي الأول مختلف عن وحي الثاني. فالوحي المنزّل على الرسول هو رسالة تشريعية؛ أمّا الوحي المنزل على النبي فليس فيه تشريع جديد. إنّما يتبع النبي تشريع الرسول الذي سبقه. والرسول والنبي مكلفان بتبليغ الوحي الموحى به إليهما ودعوة قومهما به. وبذا فإنّ وظيفة الرسول هي:التلاوة والتبليغ لما أنزل الله عليه من أوامر تشريعية فيكون بذلك صاحب رسالة .قال تعالى: ﴿وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين﴾ وقال: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ أمّا وظيفة النبي فهي الدعوة والتعليم والقيادة للناس، كون النبوة مقام علمي. وبذا يكون النبي رسولاً تابعاً. وهذا المعنى جلي في نبوة موسى وهارون عليهما السلام قال تعالى:﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ (مريم:٥٣)وقال تعالى:﴿ قال رب إني أخاف أن يكذبون، ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون﴾ (الشعراء:١٢-١٣) وقال: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول رب العالمين﴾ (الشعراء:١٦) فهارون نبي وفي الوقت ذاته أرسله الله عز وجل مع موسى إلى فرعون وجعله وزيراً لموسى يؤازره فصار رسولاً أيضاً، فما الفرق بينه وبين موسى إذا كان كلاهما نبيًّا ورسولاً؟ الفرق بينهما هو أنّ موسى أوحي إليه برسالة بينما لم يوح إلى هارون برسالة وإنما هو تابع لرسالة موسى يدعو إليها؛ لذلك تم وصف هارون من حيث الوظيفة بمقام الوزارة. قال تعالى:﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي اشدد به أزري، وأشركه في أمري﴾(طه:٢٩-٣٢) إذاً وظيفية الرسالة متحققة بالنبي الذي نزل عليه رسالة جديدة فصار بها رسولاً يدعو إليها، ومتحققة بالنبي الذي لم ينزل عليه رسالة مثل هارون من خلال دعوته للرسالة التي نزلت على أخيه فصار كلاهما رسول رب العالمين. وظلت هذه التفرقة متضحة في أنبياء بني إسرائيل، فكلهم تابعون لرسالة موسى لم ينزل عليهم أي تشريعات، وإنما نزل عليهم أوامر وتعليمات ليقوموا بالإرشاد والهداية والتوجيه لرسالة موسى بمقتضاها، فكانوا بذلك العمل قد تحقق بهم صفة الإرسال ولكن دون رسالة تشريعية، إلا النبي عيسى عليه السلام فقد صار بمقام الرسول صاحب الرسالة وأخذ حكمهم من حيث الحفظ والعصمة من القتل.

وثمّة فارق آخر بين النبوة والرسالة في القرآن الكريم، عائد لمفهوم العصمة الربانية فالأنبياء ليس لهم عصمة، فيجوز عليهم القتل مثلهم مثل سائر البشر كما حصل مع أنبياء بني إسرائيل ففيهم من

تعرض للقتل؛ وليس للأنبياء كذلك عصمة من سائر العوارض الإنسانية مثل الخطأ والنسيان والوقوع في المعصية وذلك لأنهم يملكون إرادة حرة. والنبي كونه عالما بالله عز وجل فهو يعصم نفسه عن الكذب والمعاصي والفواحش عصمة إرادية نابعة من إيمانه بالله عز وجل؛ لذلك كان الأنبياء أفضل الناس وأعظمهم شأناً ويأتي بعدهم العلماء .قال تعالى:﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾ وهذه العصمة الإرادية مطلوب من الناس جميعاً أن يتحققوا بها . قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ أما العصمة بالنسبة للرسول (صاحب الرسالة) فهي على وجهين:الأول :عصمة من القتل وذلك لإتمام رسالته، وفي الحقيقة العصمة موجهة إلى الرسالة وليس إلى شخص الرسول، فكل رسول معصوم من القتل نحو الرسل أولي العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، بخلاف الأنبياء. الثاني :العصمة في عملية التلاوة لنص الرسالة، وهذا يقتضي حفظ النص في ذاكرة الرسول، وحفظ النطق في لسانه، حتى لا يتم أي خطأ في عملية التبليغ ويقتضي ذلك عصمته من أي عارض يؤثر على عملية تبليغه للرسالة أو القدح فيها نحو الأمراض الجلدية المنفرة أو الأمراض النفسية من هذيان وهلوسة وسحر وما شابه ذلك. فالرسول إذا فرغ من تلاوة الرسالة وعملية التبليغ ينتهي دوره كرسول ويبدأ دوره كنبي يقوم بالتفاعل مع الرسالة التي أنزلها الله كونه أول المكلفين بها عملاً ويدعو الناس إليها ويعلمهم الكتاب

والنبوة لم تنف الصفة البشرية عن النبي، وإنما أضافت له مقاماً علمياً. وعندما صار هذا النبي رسولاً لم تنتف عنه صفة البشرية ووظيفة النبوة،وإنما أضيف له مقام الرسالة مع الحفاظ على الصفات البشرية والنبوية قال تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ وكون النبوة مقام علمي والأنبياء سادة العلماء، فصفة الاجتهاد لهم أولى من العلماء، فالنبي أحق بالاجتهاد من العالم قطعاً، وإلاَّ صار العالم المجتهد أفضل من النبي إذا سُلِبَ من النبي حق الاجتهاد . فالنبي يقوم بالاجتهاد في عملية الدعوة والتعليم والاستنباط للأحكام والمعلومات من الرسالة السابقة. أما إذا كان هو رسولاً فيستخدم الرسالة التي أنزلت عليه.

ولوجود هذه الفروق من حيث الرسالة والعصمة والاجتهاد ، صار اصطلاحاً أن الرسول التابع هو نبي، والنبي صاحب الرسالة هو رسول، ومن هذا الوجه ظهرت المقولة التي تقول إنّ كل رسول نبي ولا

عكس،رغم أن كليهما رسول من حيث الإرسال لهما من قبل الله للناس. وكلاهما مأموران بالدعوة والتعليم والتبليغ . قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليهم حكيم﴾ (الحج ٥٢).

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ النبوة مقام اصطفاء إلهي وليس اكتسابي، وهومقام علم ودعوة وقيادة للناس، ويجوز على النبي ما يجوز على الإنسان تماماً، وعصمته إرادية ليست ربانية، ويملك حق الاجتهاد كونه عالماً .والرسول: مقام تكليف لتوصيل رسالة الله إلى الناس ليس له من الأمر إلاّ التلاوة والتبليغ وبالتالي لا يحق له الاجتهاد في نص الرسالة، وهو معصوم في حفظه ونطقه للرسالة إضافة إلى عصمته من القتل لإتمام رسالته. وهذا التفريق بين مقام النبوة ومقام الرسالة يوصلنا إلى أن مقام النبوة مرتبط بشخص النبي نفسه-وبالتالي يفقد مقام النبوة فاعليته بموت النبي مثل النبي هارون بينما مقام الرسول صاحب الرسالة مرتبط بالرسالة فإذا مات الرسول،فلاتتأثر الرسالة لاستمرار وجودها وفصلها عن شخص الرسول ، مثل الرسول موسى والتوراة. فيكون المجتمع الأول الذي عاصر نزول الرسالة علاقته مع مقام النبوة ومقام الرسول معاً. أما المجتمعات اللاحقة فعلاقتها مع الرسالة فقط،دون النبوة؛لموت صاحبها . فالنبوة خاصة ومرتبطة بالزمان والمكان، أما الرسالة فهي عامة مستمرة بعد موت النبي صاحب الرسالة. وبناء على ذلك التفريق نستطيع أن نقول: (أن نبوة محمد للعرب ورسالته للناس جميعاً) كما أخبر الله عز وجل بقوله: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف:١٥٨) أما عملية البعث فكانت في قومه ولهم. قال تعالى﴿ :هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [الجمعة٢] فعملية البعث والإرسال أي النبوة والرسالة معاً كانت لقوم النبي والعرب ومن عاصره. أمّا بعد موته فقد توقفت فاعلية مقام النبوة واستمر مقام الرسول الذي تَمَثَّلَ في الرسالة ذاتها، فكانت الرسالة للناس جميعاً دون النبوة وهذا ما هو حاصل في الواقع من حيث انتشار الرسالة الممثلة بالقرآن على الناس جميعاً،بخلاف حديث النبي فهو محل نقاش وقبول ورفض واختلاف بين المسلمين وعندما تم اكتمال نزول الدين الإسلامي،الذي بدأ في عهد نوح عليه السلام مروراً بإبراهيم وموسى وعيسى وانتهاء بمحمد صلوات الله عليهم جميعاً.اقتضى ختم النبوة؛لانتفاء الحاجة لوجود الأنبياء واستمرت الرسالة الكاملة الخاتمة،يحملها العلماء ويقومون بدور الأنبياء كل في زمانه وحسب أدواته

المعرفية، يعلمون الناس ويدعونهم إلى الحق والعدل، ويقومون بعملية الاستنباط من الرسالة لإيجاد علاجات وأحكام للمستجدات في الحياة الاجتماعية. إنّ كل خطاب موجه إلى النبي صراحة أو ضمنًا فهو خطاب تعليمي وتوجيهي للأحسن والأفضل والحل الأمثل للظرف الراهن وليس تشريعاً. أما الخطاب الذي يبدأ بفعل (قل) فيجب معرفة المقصد من خلال فحوى النص فإن كان النص متعلقاً بأحكام نحو[ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض] .[ويسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله وللرسول..]فالمخاطب بفعل (قل) هو الرسول . وإن كان فحوى النص توجيهي وتعليمي نحو: [قل هو الله أحد]. [قل أعوذ برب الناس] [قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون]فيكون المخاطب بفعل(قل) هوالنبي . وإن جاء الخطاب مستخدماً كلمة الرسول فدلالة النص إن كانت متعلقة بأحكام أو بطاعة متصلة مع طاعة الله فيكون المقصود هو خطاب مقام الرسالة .و أمّا إذا كان متعلقاً بتوجيهات وتعليمات أو تكرر بعد فعل الطاعة لله فالمقصد هو مقام النبوة، وما استخدام مقام الرسالة إلا من باب المخاطبة بالمقام الأعلى.

وفي هذا الصدد نعرج بالقول على مفهوم (العبقرية) الذي جرى خلطه بمفهوم النبوة في بعض الكتابات المعاصرة. فكما اختلط مفهوم النبوة والرسالة لدى أهل الكتاب،فأدرجوا فيها الإلهام والهواتف والتأملات التي تأتي للإنسان وهو في صلاته أو عبادته فضلوا بذلك وانحرفوا،ولم يعودوا يميزون بين وحي يوحى وبين هذه الأمور التي قد تعرض لأي إنسان. كذلك اختلط الأمر على بعض المسلمين في العصور المتأخرة وعصور الجهالة لدين الله وشرعه، فتوهموا أن الزعامة والذكاء والعبقرية الشخصية من المهام أو الصفات التي جعلت الناس في الماضي يطلقون على هذا النوع من القادة أنبياء ومرسلين في حين أنهم مجرد عباقرة، أو زعماء قوميين أو إقليميين جاءوا لإنقاذ أقوامهم وشعوبهم أو توحيدهم، فسووا بذلك بين العبقرية والذكاء وهي صفات عامة مشتركة يتصف بها الناس كسباً أو موهبة وبين النبوة أو الرسالة التي هي شأن من شؤون الغيب، ولا دخل للكسب الإنساني فيها، فليست هناك معاهد أو أماكن لتأهيل أنبياء أو رسل وليست هناك برامج إنسانية محددة لإيجاد أنبياء ومرسلين، بل هي اصطفاء إلهي واختيار ربّاني. فالنبي أو الرسول لا يدري قبل أن يتم اصطفاءه أنه سيكون نبياً أو رسولاً، ولم يتشوف لذلك ولم يحاول امتلاك مؤهلات، ولم يتقدم بطلب إلى الله تعالى ليتخذه نبياً أو رسولاً قال تعالى " الله يصطفي

من الملائكة رسل ومن الناس .."وقال " الله يعلم حيث يجعل رسالته .." لذلك فإن من أخطر محاولات التزييف، تلك المحاولات التي قام بها بعضهم جهلاً مدحاً للنبي صلى الله عليه وسلم، فأقرّ بالعبقرية لينفي النبوة والرسالة، ولينفي الجانب الغيبي دون أن يتهموا بإنكار النبوة والرسالة. لذلك فإنه من الضروري التنبه لمفهوم النبوة والرسالة والوحي والإيمان كما جاءت في كتاب الله لا بالمفهوم الذي أراده أولئك المحرفون[1].

[1] ونستطيع أن نضرب مثلاً بكتاب ميشيل عفلق (ذكر النبي العربي) الذي أكثر فيه من الثناء على النبي صلى الله عليه وسلم حتى توهم أتباعه أنه قد صار مسلماً مع أن إعجابه برسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو إعجاب بزعيم قومي منقذ وباني لأمة فقط.

الفارق بين النبوة والرسالة :

ويجب التطرق لهذه المسألة هامة حتى لا يحدث أي لبس أوحيرة من خلال تلاوة الآيات القرآنية التي تناولت الأنبياء وصفتهم بمقام الرسالة نحو قوله تعالى :

١- ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً﴾

٢ -﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾ (البقرة٨٧).

فسياق الآيات يدل ظاهرها على أن النبي هو رسول والرسول هو نبي من حيث الدلالة وممكن أن يصيبهم القتل وبالتالي لا فرق بين النبي والرسول من حيث الأحكام المتعلقة بهم. والواقع أن هنالك فرق وسوف نلاحظ ذلك من خلال نبوة موسى وهارون .

قال تعالى: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ (مريم٥٣)

وقال تعالى:﴿ قال رب إني أخاف أن يكذبون، ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون﴾ (الشعراء١٢-١٣).

وقال: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول رب العالمين﴾ (الشعراء ١٦).

فهارون هو نبي وفي الوقت ذاته أرسله الله عز وجل مع موسى إلى فرعون وجعله وزيراً لموسى يؤازره فصار رسولاً أيضاً فما الفرق بينه وبين موسى إذا كان كلاهما نبيا ورسولا؟ الفرق بينهما يكمن في أن موسى نزل عليه رسالة بينما هارون لم ينزل عليه رسالة وإنما هو تابع لرسالة موسى يدعو إليها لذلك تم وصف هارون من حيث الوظيفة بمقام الوزارة. قال تعالى:﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي اشدد به أزري، وأشركه في أمري﴾ (طه٢٩-٣٢).

فالنبي في مقام العالم المؤهل لقيادة الناس والعناية بهم, والصلة بينه وبين الله مستمرة لا تنقطع عن طريق الوحي, فممكن أن يوحى إليه بعض الأوامر المتعلقة بقومه لحل مشاكلهم وإخبارهم ببعض الأمور لتقوية إيمانهم, ولكن لا ينزل عليه رسالة تشريعية وإنما هو تابع لرسول سبقه صاحب رسالة كما هو الحال في أنبياء بني إسرائيل فكلهم تابعون لرسالة موسى, لم ينزل عليهم أي تشريعات وإنما نزل عليهم أوامر وتعليمات ليقوموا باستخدامها في عملية الإرشاد

والهداية والتوجيه لرسالة موسى فكانوا بذلك العمل قد تحقق بهم صفة الإرسال من الله لهم للناس فصاروا بذلك مرسلين ولكن دون رسالة تشريعية, إلا النبي عيسى عليه السلام فقد صار بمقام الرسول صاحب الرسالة وأخذ حكمهم من حيث الحفظ والعصمة من القتل .

ومن هذا الوجه كان النبي هو رسول والرسول نبياً لأن القيمة الحقيقية والثمرة للنبوة إنما هو للرسالة. فإذا انتفت الرسالة من حيث النزول أو الدعوة إليها تفرغ مقام النبوة من مضمونه ومثل ذلك كمثل العالم العامل بعلمه دعوة وتعليما, والعالم الساكت عن علمه والكاتم له لا يفيد به أحداً, فهو بذلك صار من حيث النتيجة مثله مثل الذي لا يعلم تماماً .

إذاً وظيفة الرسالة متحققة بالنبي الذي نزل عليه رسالة جديدة فصار بها رسولاً يدعو إليها، ومتحققة بالنبي الذي لم ينزل عليه رسالة مثل هارون من خلال دعوته للرسالة التي نزلت على أخيه فصار كلاهما رسول رب العالمين, والقرآن استخدم هذه التعريفات والتفريقات بين النبي والرسول, فأعطى لكلاهما صفة الإرسال ووصفهما بمقام الرسول، وفي الوقت ذاته فرق بينهما إذ جعل الرسول صاحب الرسالة معصوم عن القتل لإتمام رسالته, بينما الرسول التابع جاز عليه القتل, وقد حصل في الواقع, فصار اصطلاحاً أن الرسول التابع هو نبي، والنبي صاحب الرسالة هو رسول، ومن هذا الوجه ظهرت المقولة التي تقول كل رسول نبي ولا عكس رغم أن كليهما رسول من حيث الإرسال لهما من قبل الله للناس. وكلاهما مأموران بالدعوة والتعليم والتبليغ .

قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليهم حكيم﴾ (الحج ٥٢).

فتكون وظيفة النبي هي: الدعوة والتعليم والقيادة للناس كون النبوة مقام علمي. ويكون بذلك رسولاً تابعاً.

أما وظيفة الرسول فهي:التلاوة والتبليغ لما أنزل الله عليه من أوامر تشريعية فهو صاحب رسالة .

قال تعالى: ﴿وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين﴾

وقال: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾

ويجب الانتباه إلى أن النبوة لم تنف الصفة البشرية عن النبي، وإنما أضافت له مقاماً علمياً، وعندما صار هذا النبي رسولاً لم ينتف عنه صفة البشرية ووظيفة النبوة وإنما أضيف له مقام الرسالة مع الحفاظ على الصفات البشرية والنبوية

قال تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾

وكون النبوة مقام علمي, والأنبياء سادة العلماء, فصفة الاجتهاد لهم أولى من العلماء، فالنبي أحق بالاجتهاد من العالم قطعاً, وإلاّ صار العالم المجتهد أفضل من النبي إذا سُلِبَ من النبي حق الاجتهاد . فالنبي يقوم بالاجتهاد في عملية الدعوة والتعليم والاستنباط للأحكام والمعلومات من الرسالة السابقة أما إذا كان هو رسولاً فيستخدم الرسالة التي نزلت عليه.

أما بالنسبة لمفهوم العصمة الربانية فالأنبياء ليس لهم أي عصمة من ذلك فهم معرضين للقتل كما حصل مع أنبياء بني إسرائيل، وكذلك لكل الصفات الإنسانية من حيث الخطأ والنسيان والوقوع في المعصية وذلك لأنهم يملكون إرادة حرة. والنبي كونه عالما بالله عز وجل فهو يعصم نفسه عن الكذب والمعاصي والفواحش عصمة إرادية نابعة من إيمانه بالله عز وجل. لذلك كان الأنبياء أفضل الناس وأعظمهم شأناً ويأتي بعدهم العلماء .

قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾

وهذه العصمة الإرادية مطلوب من الناس جميعاً أن تتحقق بهم .

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾

أما العصمة بالنسبة للرسول (صاحب الرسالة) فهي على وجهين :

الأول :عصمة من القتل وذلك لإتمام رسالته, وفي الحقيقة العصمة موجهة إلى الرسالة وليس إلى شخص الرسول، فكل رسول معصوم من القتل نحو الرسل أولي العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم. بخلاف الأنبياء فيجوز عليهم القتل مثلهم مثل سائر البشر كما حصل مع أنبياء بني إسرائيل.

الثاني :العصمة في عملية التلاوة لنص الرسالة، وهذا يقتضي حفظ النص في ذاكرة الرسول, وحفظ النطق في لسانه, حتى لا يتم أي خطأ في عملية التبليغ ويقتضي ذلك عصمته من أي عارض يؤثر على عملية تبليغه للرسالة أو القدح فيها نحو الأمراض الجلدية المنفرة أو الأمراض النفسية من هذيان وهلوسة وسحر وما شابه ذلك.

فالرسول إذا فرغ من تلاوة الرسالة وعملية التبليغ ينتهي دوره كرسول ويبدأ دوره كنبي يقوم بالتفاعل مع الرسالة التي أنزلها الله كونه أول المكلفين بها عملاً ويدعو الناس إليها ويعلمهم الكتاب

ونخلص مما سبق إلى أنّ:

النبوة مقام اصطفاء إلهي وليس اكتسابي، وهو مقام علم ودعوة وقيادة للناس، ويجوز على النبي ما يجوز على الإنسان تماماً، وعصمته إرادية ليست ربانية، ويملك حق الاجتهاد كونه عالماً .

والرسول: مقام تكليف لتوصيل رسالة الله (رسالة تشريعية) إلى الناس ليس له من الأمر إلاّ التلاوة والتبليغ وبالتالي لا يحق له الاجتهاد في نص الرسالة، وهو معصوم في حفظه ونطقه للرسالة إضافة إلى عصمته من القتل لإتمام رسالته.

وهذا التفريق بين مقام النبوة ومقام الرسالة يوصلنا إلى أن مقام النبوة مرتبط بشخص النبي نفسه وبالتالي يفقد مقام النبوة فاعليته بموت النبي مثل النبي هارون، بينما مقام الرسول صاحب الرسالة مرتبط بالرسالة فإذا مات الرسول لا تتأثر الرسالة لاستمرار وجودها وفصلها عن شخص الرسول. مثل الرسول موسى والتوراة. فيكون المجتمع الأول الذي عاصر نزول الرسالة علاقته مع مقام النبوة ومقام الرسول معاً. أما المجتمعات اللاحقة فعلاقتها مع الرسالة فقط دون النبوة لموت صاحبها .فالنبوة خاصة ومرتبطة بالزمان والمكان، أما الرسالة فهي عامة مستمرة بعد موت النبي صاحب

الرسالة.

وبناء على ذلك التفريق نستطيع أنْ نقول :

(أن نبوة محمد للعرب ورسالته للناس جميعاً)

كما أخبر الله عز وجل بقوله: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً] الأعراف ١٥٨ أما عملية البعث فكانت في قومه ولهم. قال تعالى :

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [الجمعة٢] فعملية البعث والإرسال أي النبوة والرسالة معاً كانت لقوم النبي والعرب ومن عاصره أما بعد موته فقد توقف فاعلية مقام النبوة واستمر مقام الرسول الذي تَمَثَّلَ في الرسالة ذاتها، فكانت الرسالة للناس جميعاً دون النبوة وهذا ما هو حاصل في الواقع من حيث انتشار الرسالة الممثلة بالقرآن على الناس جميعاً بخلاف حديث النبي فهو محل نقاش وقَبُول ورفض واختلاف بين المسلمين وعندما تم اكتمال نزول الدين الإسلامي الذي بدأ في عهد نوح عليه السلام مروراً بإبراهيم وموسى وعيسى وانتهاء بمحمد صلوات الله عليهم جميعاً اقتضى ختم النبوة لانتفاء الحاجة لوجود الأنبياء واستمرت الرسالة الكاملة الخاتمة يحملها العلماء ويقومون بدور الأنبياء كل في زمانهم وحسب أدواتهم المعرفية واحتياجاتهم يعلمون الناس ويدعونهم إلى الحق والعدل، ويقومون بعملية الاستنباط من الرسالة لإيجاد علاجات وأحكام للمستجدات في الحياة الاجتماعية. وقد جعل الله عز وجل مقياساً وقانوناً يُغَربل ويصفي هذا التراكم الفكري الإنساني الهائل الذي يعلق بالرسالة مع مرور الزمن وهو قوله تعالى: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناسَ فيمكثُ في الأرض﴾ (الرعد١٧)

فالأفكار تموت من تلقاء نفسها عندما تفقد فاعليتها دون نقاش أو حوار أو جدال من أحد والواقع شاهد على ما أقول فمن يناقش الآن حكم الرسم أو التصوير وما شابه ذلك من أفكار!! رغم أن المحرّمين لها لم يغيروا رأيهم!! ولكن الأفكار ماتت لعدم جدواها في الواقع, وهم أحرار في استمرارهم بحمل هذه الأفكار الميتة المرفوضة من أبنائهم قبل غيرهم من الناس .!

إنّ كل خطاب موجه إلى النبي صراحة أو ضمنا فهو خطاب تعليمي وتوجيهي للأحسن والأفضل والحل الأمثل للظرف الراهن وليس تشريعاً. أما الخطاب الذي يبدأ بفعل (قل) فيجب معرفة المقصد من خلال فحوى النص فإن كان النص متعلقاً بأحكام نحو[ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض] .[ويسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله وللرسول..]فالمخاطب بفعل (قل) هو الرسول . وإن كان فحوى النص توجيهي وتعليمي نحو: [قل هو الله أحد]. [قل أعوذ برب الناس][قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون]فيكون المخاطب بفعل(قل)هوالنبي .

وإن جاء الخطاب مستخدماً كلمة الرسول فدلالة النص إن كانت متعلقة بأحكام أو بطاعة متصلة مع طاعة الله

فيكون المقصود هو خطاب مقام الرسالة .و أما إذا كان متعلقاً بتوجيهات وتعليمات أو تكرر بعد فعل الطاعة لله فالمقصد هو مقام النبوة، وما استخدام مقام الرسالة إلا من باب المخاطبة بالمقام الأعلى

تشوش مفهوم النبوة والرسالة :

فكما أختلط مفهوم النبوة والرسالة لدى أهل الكتاب فادرجوا فيها الإلهام والهواتف والتأملات التي تأتي للإنسان وهو في صلاته أو عبادته فضلوا بذلك وانحرفوا ولم يعودوا يميزون بين وحي يوحى وبين هذه الأمور التي قد تعرض لأي إنسان، فاختلط الأمر على بعض المسلمين في العصور المتأخرة وعصور الجهالة لدين الله وشرعه فتوهموا أن الزعامة والذكاء والعبقرية الشخصية من المهام أو الصفات التي جعلت الناس في الماضي يطلقون على هذا النوع من القادة أنبياء ومرسلين في حين أنهم مجرد عباقرة، أو زعماء قوميين أو إقليميين جاءوا لإنقاذ أقوامهم وشعوبهم أو توحيدهم فسووا بذلك بين العبقرية والذكاء وهي صفات عامة مشتركة يتصف بها الناس كسباً أو موهبة وبين النبوة أو الرسالة هي شان من شؤون الغيب، ولا دخل للكسب الإنساني فيها، فليست هناك معاهد أو أماكن لتأهيل أنبياء أو رسل وليست هناك برامج إنسانية محددة لإيجاد أنبياء ومرسلين، بل هي اصطفاء إلهي وأختيار رباني فالنبي أو الرسول لا يدري قبل أن يتم أصطفاءه أنه سيكون نبياً أو رسولاً ولم يتشوف لذلك ولم يحاول امتلاك مؤهلات، ولم يتقدم بطلب إلى الله تعالى ليتخذه نبياً أو رسولاً قال تعالى " الله يصطفي من الملائكة رسل ومن الناس .." وقال " الله يعلم حيث يجعل رسالته .." .

ولذلك فإن من أخطر محاولات التزييف تلك المحاولات التي قام بها البعض واحتال كثير من المسلمين عن دينهم بما ظنه بعضهم جهلاً مدحاً للنبي صلى الله عليه وسلم فأقر بالعبقرية لينفي النبوة والرسالة ولينفي الجانب الغيبي دون أن يتهموا بإنكار النبوة والرسالة. لذلك فإنه من

الضروري التنبه لمفهوم النبوة والرسالة والوحي والإيمان كما جاءت في كتاب الله لا بالشكل الذي أراده أولئك المحرفون[1].

[1] ونستطيع أن نضرب مثلاً بكتاب ميشيل عفلق (ذكرى النبي العربي) الذي أكثر فيه من الثناء على النبي صلى الله عليه وسلم حتى توهم أتباعه أنه قد صار مسلماً مع أن إعجابه برسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو إعجاب بزعيم قومي منقذ وباني لأمة فقط.